د. عبدالله بن برجس الدوسري •

المنطقة المركزية حول المسجد الحرام.. إيجابيات وسلبيات

من فضل الله عز وجل أن جعل الحرم كله مسجداً، فحيث صلى المسلم في اي بقعة من الحرم فكأنه صلى في المسجد الحرام(١)، فقد جاء في محكم التنزيل قوله عز وجل: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))(٢).

قال عامة المفسرين: «أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من دار أم هانئ، فحملوا المسجد الحرام على مكة أو الحرم، لإحاطة كل واحد منهما بالمسجد الحرام أو لأن الحرم كله مسجد»(٣).

وعليه فما اتصل بالمسجد كالرحاب وهي الساحات ونحوها كالمسجد الحرام في مضاعفة الأجر إلى مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد، ويؤيد هذا القاعدة الفقهية (الحريم له حكم ما هو حريم له)(٤)، وهذا يعني ان الساحات المحيطة بالحرم مهما اتسعت وتمددت فهي منه... وما حصل من التوسعات في العهد السعودي وكان اخرها التوسعة الحالية في عهد خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – وهي اكبر توسعة في تاريخ المسجد الحرام على الإطلاق فهي لا ريب داخلة في المسجد الحرام ولها حكمة في مضاعفة الاجر باجماع المسلمين.

هذه مُقدمة مُسلم بها لأمر ذي بال تنبع أهميته من أهمية البيت الحرام والمسجد الحرام في البلد الحرام.

ففي كل مرة اتشرف بزيارة هذا البيت العظيم وحين تدلف قدماي إلى جواره يعييني البحث عن سكن ملائم، فيضنيني التعب والمشقة ويمضي جزء من وقتي في البحث والسؤال.

ولا شك ان جل القادمين يعانون ما أعانيه، وهي بلا شك مشكلة كل زائر أو معتمر، فهي إزلية قديمة ولكن إلى متى والحال كهذا، ثم حين نتجاوز تلك الأزمة نقع في أزمة أخرى، وهي تلك الكتل البشرية والتي تسير في حركة شبه عشوائية.

ثم حين يتقرب الزائر حاجاً أو معتمراً من الحرم الشريف يجابهه الزحام الشديد والذي يُقدر في بعض الإحصائيات بـ (٣٠٠) ألف زائر في الساعة الواحدة في اوقات الذروة في موسم الحج في حركة شبه عشوائية وغير منظمة.

وهنا اثير عدداً من الأسئلة:

هل يوجد ممرات مخصصة للمشاة مقسمة إلى قسمين للذهاب والإياب؟

وفضلاً عن ذلك هل توجد ممرات مهيأة بمظلات جميلة ومبلطة ببلاط مناسب يليق بحرمة البيت وقدسيته؟

خاصة مع الارتفاع الشديد في درجة الحرارة والذي يصل في بعض الأحيان إلى (٥٠) درجة مئوية؟ وربما اكثر من ذلك مع حرارة الجو والتلوث البيئي الناتج عن عوادم السيارات.

ثم إذا اتجهت نحو المنطقة القريبة من مستشفى جياد مثلاً فستقابلك الروائح الكريهة المنبعثة من الجاري والمطاعم التقليدية، والباعة المتجولين والمتسولين خاصة في ساعات الليل المتاخرة..

هذه مشكلات اصبحت معتادة وملفتة للنظر، تحدث للأسف رغم كل الإمكانات المادية والبشرية المقدمة بكل سخاء.

والذي أخشاه ويخشاه كل غيور نفاقمها وتحولها إلى تعقيدات يتعسر أو يتعذر إيجاد الحلول لها خاصة مع قيام المشاريع العملاقة التي أصبحت كالطوق في عنق الحرم.. وفي توقعي ان هذه المشاريع التي نحسبها مشاريع حيوية كجبل عمر ووقف الملك عبد العزيز وما ماثلهما اخشى أن تكون عواقبها خطيرة جداً، وهذا ليس كلاماً جزافاً، فهناك دراسات وابحاث خصصت لهذا الغرض تنذر بسوء العاقبة.

وهنا أعود وأبدي الأسئلة الآتية:

ما هي نسبة حجب هذه المشاريع العملاقة للهواء والتهوية عن المسجد الحرام؟

وما هي تأثيراتها على المياه المحلاة المجلوبة من البحر على مكة المكرمة وعلى المنطقة المجاورة للحرم على وجه الخصوص؟

بل ما هي تأثيراتها على شبكة المجاري؟ وهل أخذ بهذه المشاريع في الحسبان عند تأسيس شبكة المجاري الحالية؟

ثم ما هي تأثيراتها على التدافع باتجاه الحرم خلال أوقات الصلاة؟

بل وما هي تأثيراتها الأمنية خاصة عند نشوب الحريق وكيف تتم عملية الإخلاء سواء حدث – لا قدر الله – في المسجد الحرام أو في نفس هذه المشاريع، وقد حصل هذا بالفعل في مشروع وقف الملك عبدالعزيز وكأنه يقول بلسان الحال: «لأنذركم ولعلكم تتقون».

ثم هذا الهدم الجائر والاستنزاف الهائل للطبقة الجبلية الذي ليس له آثار مستقبلية على منطقة الحرم الشريف ومكة إجمالاً – هل أخذ بهذا في الحسبان؟

أما كيفية التعامل مع حركة النقل القادمة أعني القطارات وكيفية الربط بينها وبين شبكة النقل التقليدية في ظل الشوارع المعهودة، فهذا ما سيعجز عن الإجابة عليه أساطين الخبراء فضلاً عن التنفيذيين.

هذه أسئلة مشروعة وطبيعية دافعها الغيرة والنصيحة لولي الأمر – أدام الله عزه وتوفيقه – وهي تحتاج وقفة صادقة منه – حفظه الله – للتريث في إقامة هذه المشاريع وجعل المنطقة المركزية خالية تماماً من مشاريع الإسكان والتسوق ومواقف السيارات وخلافها، وتخصيصها فقط للحرم ومرتاديه، وهذه هي الغاية التي بني من أجلها لا سواها.

((أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ))(٥). أما عن البديل فأهل مكة أدرى بشعابها، وقد ذكر أخي الدكتور عبدالله بجلان في جريدة الوطن في عددها (٣١٤٥) وهو ابن مكة أن هناك تصورا ودراسات جادة لتحويل منطقة الشميسي القريبة نسبياً من المسجد الحرام إلى منطقة سكنية متكاملة ومنظمة على أعلى المستويات ومستوفية للشروط والمواصفات.

أعلم علم اليقين أن خادم الحرمين الشريفين وقد شرفه الله ووفقه لهذا المسمى النبيل وهي خدمة البيت الحرام يرى أن من أولى أولوياته تهيئة الجو التعبدي لمرتادي الحرمين وبالمقابل إزالة كل ضرر واقع أو محتمل، اتباعاً للقاعدة الفقهية: «الضرر يزال».

ويدعم هذا التوجه وينميه بما أوتي من حنكة وتجربة طويلة سمو أمير منطقة مكة، والذي أضحت مكة المكرمة شغله الشاغل، وأن مناه أن يحدث فيها نقلة نوعية تبقى مدى الدهر شاهداً تتوارثه الأجيال تلو الأجيال.

هامش:

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٩/٢٤٧).

(٢) سورة الإسراء، آية (١)

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/٢٠٦)، فتح الباري لابن حجر (٣/٥٢٧).

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي.

(٥) سورة البقرة آية (١٢٥).

• عضو مجلس الشورى – عضو اللجنة المالية